

التدبر القرآني

من خلال النصوص التاريخية القديمة

أ.م.د. عادل هاشم علي

كلية الآداب / جامعة البصرة

العراق

ملخص البحث:

لا يخفى على أحد أن علم الآثار ودراسة الحضارات واللغات القديمة من العلوم الحديثة التي ظهرت في القرن الماضي. وقد كشفت النقوش والكتابات التي عثر عليها في بلاد الرافدين والنيل والجزيرة العربية، كشفت عن جوانب تفصيلية لحياة الاقوام القديمة آنذاك ؛ ولكن هذه النصوص تم تفسيرها من قبل الباحثين والعلماء الغربيين بما يتلائم مع معطياتهم الثقافية وانتمائاتهم الدينية، فغاب عنهم فهم الكثير من المعاني ذات الدلالات الشرقية ؛ وبالتالي فإن الصورة ظلت غير واضحة لكثير من ملامح الحضارات القديمة واهمها الجانب العبادي المشوب بالتناقضات.

القرآن الكريم (وأقولها بصراحة) في الجامعات الغربية لا يعتمد عليه ولا يشار اليه كمصدر لا من قريب ولا من بعيد ، حتى عند الحديث عن الانبياء او الاقوام التي عاصرها الانبياء . وبالمقابل فان النصوص التوراتية والتلمودية وحتى نصوص بعض الديانات الوضعية القديمة تؤخذ على محمل الجد في

مجال تفسير الظواهر التاريخية او ربطها مع النصوص الاثرية . وهذا الامر للأسف انسحب على الكثير من باحثينا العرب والمسلمين بصورة واضحة .

البحث اشتمل على مطلبين رئيسين:

(التوحيد) وهو اهم نقطة غابت عن تحليل وتفسير العلماء الغربيين للنصوص القديمة ؛ لأنها مفردة لا تنتمي الى ثقافتهم وليس لها صورة واضحة في دياناتهم كما هي عندنا (والله الحمد) . ومن بعض آيات سورة الاسراء نلمس توحيد الملك البابلي (نبوخذ نصر الثاني) من خلال اشارات واضحة جداً عن التوحيد (بالمفهوم العام) مدعومة بالنصوص الاثرية والتوراتية المعاصرة للأحداث التاريخية آنذاك وهي بالتالي توافق الخطاب القرآني في الاية الكريمة .

البحث ركز في المطلب الثاني على التدبر في فهم معاني اسماء الالهة الواردة في سورة نوح ، ومحاولة اعطاء رأي توفيقى لما يرد في النصوص المسمارية . كونها معبودات الاقوام السومرية التي عاصرها ودعاها الى التوحيد النبي (السومري) نوح عليه السلام .

المطلب الأول: ملامح توحيد الملك البابلي (نبوخذ نصر)

في سورة الاسراء

الآيات الكريمة التي تمدنا بمادة هذا المبحث هي من سورة الإسراء والتي من ضمن ما فيها من معاني ، عرض لأحوال بني إسرائيل في الأزمان القديمة ، وقد نصت الآية الكريمة بقوله عز وجل : وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَوَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرَ نَفِيرًا * (1)

(1) سورة الاسراء الاية 4 - 7 .

هذه الآية الكريمة نستدل منها (تدبراً)⁽¹⁾ ، بأن بني إسرائيل قد عاثوا في الأرض (الأرض المقدسة) فسادا وابتعادا عن احكام الله تعالى ، بل انهم اخذوا يشركون بعض الآلهة الى جانب عبادتهم لله تعالى ، فضلاً عن تكذيبهم وقتلهم الانبياء . لذا فانهم نالوا من الله تعالى العذاب والهوان تم على يد العباد الذين ارسلهم الله عز وجل على بني إسرائيل .

يتفق معظم العلماء المفسرون وباختلاف مذاهبهم على ان (بختنصر = نبوخذ نصر) هو المعني بهذه الآية الكريمة⁽²⁾ . ويطلق هذا المضمون ما حدث في زمن نبوخذ نصر من هوان وسبي لليهود في الحدث التاريخي الذي سمي (السبي البابلي 597 ، 586 ق.م)⁽³⁾ .

ولكي نصل الى الغاية المنشودة في البحث (توحيد وعبودية نبوخذ نصر) نستعين خلال قراءة النص القرآني بالمفسرين واللغويين في تبيان المقصد التاريخي في الآية الكريمة والذي نرى بانه يلامس موضوع البحث. فضلاً عن المقاصد القرآنية الاخرى .

(1) الاشارة هنا الى قوله الكريم أفلا يتدبرون القرآن . لا من باب التفسير لان لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم .

(2) كتب التفاسير تتفق على ذلك وهي كثيرة جداً لكن نودر هنا جملة من اهم هذه التفاسير ومن كل المدارس والاتجاهات وهي مثلاً لا سبيل الحصر: (تفسير مجاهد بن جبر المخزومي ت 104 هـ) ، (الطبري ت 310 هـ: جامع البيان) ، (الثعلبي ت 427 هـ: الكشف والبيان) (الطوسي ت 460 : البيان لجامع علوم القرآن) ، (الزمخشري ت 538 هـ: الكشاف) ، (الطبرسي ت 548 هـ : مجمع البيان) ، (الرازي ت 606 هـ : التفسير الكبير) ، (القرطبي ت 671 هـ: الجامع لأحكام القرآن) ، (ابن كثير ت 774 هـ: تفسير القرن الكريم) (الففيروزآبادي ت 817 هـ: تفسير القرآن) ، (السيوطي ت 911 : الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ، (محمد حسين الطباطبائي ت 1402 هـ : الميزان في تفسير القرآن) . وهذه التفاسير وغيرها تذكر عدة ملوك في هذه الآية الا انهم يذكرون بختنصر = نبوخذ نصر في المقام الاول .

(3) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : طه باقر: دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، (بغداد - 1986) ج 2 ، ص 550.

في مفردات القرآن الكريم يذكر الراغب الأصفهاني بأن القضاء هو فصل الامر وهذا ربما يكون قولاً او فعلاً وهو على وجهين ، منه إلهي والاخر بشري؛ والذي يفيدنا هنا هو القضاء الالهي بوجهتيه .

فالقضاء الالهي اذا كان قولاً فهو يأتي بصيغة الأمر والإيعاز كما في قوله تعالى " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ " ⁽¹⁾ .

اي ان ربك أمر بان لا يُعبد الا هو .

كما تأتي مفردة القضاء من القول الالهي لتقابل الإعلام والإخبار والإيحاء ⁽²⁾ كقوله تعالى

"وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّضْبِحِينَ" ⁽³⁾ .

وهذا المعنى الاخير ينطبق على آية البحث " وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي

الْكِتَابِ " .

أي اخبرنا بني إسرائيل وأوحينا اليهم في كتابهم انكم ستفسدون في الارض التي كتبها الله تعالى لكم وتعلون وتتكبرون بخطاياكم . والعلو هنا كناية عن الطغيان بالظلم والتعدي ⁽⁴⁾ ، كما في قوله تعالى : " إِنَّ فُزَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ " ⁽⁵⁾ .

اذن فان الله تعالى قد اخبر بني إسرائيل بفسادهم في الارض المقدسة حيث اقاموا مملكتهم (يهودا) وعاصمتها اورشليم (القدس) وانهم سيرتكبون اثاماً كبيرة توجب العقاب على يد من يختارهم الله تعالى في تنفيذ إرادته

⁽¹⁾ سورة الاسراء / الاية 23 .

⁽²⁾ مفردات الفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني: تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط2، (قم- 1437هـ) ص 47.

⁽³⁾ سورة الحجر/ الاية 66 .

⁽⁴⁾ الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي: تحقيق إياد باقر سلمان . دار احياء التراث العربي، ط 1 (بيروت - 2006) ج 13 ، ص 31 .

⁽⁵⁾ سورة القصص / الاية 4 .

ومشيئته. وهذه الذنوب والكبائر سيمر تبيانها في الكلام عنها في النص التوراتي لاسيما ما ورد من نصوص في سفر إرميا. وهو يطابق الفساد الاول لبني إسرائيل والذي ورد في آية البحث.

ثم تنتقل الآية الكريمة الى قوله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا"

هذا النص الشريف يرفد البحث بالإشارة الى الملامح العبادة والتوحيد لله عز وجل والصادر من هؤلاء العباد الذين ارسلهم الله تعالى لبني إسرائيل . السؤال هنا هل كلمة (عباداً لنا) تشير الى كل من يدخل في عبودية الله تعالى ويكون موحداً خالصاً له ؟ ام انها تشمل جميع الخلق والناس من الذين يعبدون الله تعالى ومن لا يعبدونه ويعبد الاصنام باعتبار ان كل الخلق هم عبيد الله تعالى .

ترد في القرآن الكريم كلمتين تشيران الى معنى العبودية لكنهما تختلفان في المقصد . الكلمة الاولى (عباد) ، والثانية (عبيد) ؛ فاما الاولى فهي تفيد للتخصيص من الخلق ومفردها عابد⁽¹⁾ وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في مايقارب من (41 مرة) وكلها تقترب بالمؤمنين من العباد والصالحين والانبياء والعابدين لله تعالى ، باستثناء كلمة العباد في قوله تعالى (يا حِسرَة على العباد) التي افادت التعميم لدخول (ال) عليها .

الكلمة الثانية المقابلة (عبيد) وهي للعموم من الخلق ومفردها (عبد) وقد وردت في خمس مواقع في القرآن الكريم وكلها تكاد تختص بالذين ظلموا انفسهم والمقابلة لها بقوله تعالى " وان الله ليس بظلام للعبيد " او قوله الكريم " وماربك بظلام للعبيد " وقوله عز وجل " { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } ⁽²⁾ . وكل هذه الايات الكريمة معناها قريب من ان الله تعالى لا يظلم من

(1) الراغب الاصفهاني: المصدر السابق ، ص 543 .

(2) سورة ق / الاية 29

الخلق من كان عابداً له ومن لم يكن كذلك، وكان يعبد الاصنام ويتسبب بعبوديته اليها مثل عبد شمس وعبد اللات ونحو ذلك⁽¹⁾ .

ويضيف اهل اللغة والتفسير فروقات بين الكلمتين (عباد وعبيد) تبين ان كلمة عباد تخص من كان عابداً لله تعالى وموحداً له ، والثانية (عبيد) تشمل كل الناس العابدين لله تعالى والمشركون والكافرين به ، وهو بذلك رب الخلق جميعاً⁽²⁾ . ويمكن ملاحظة ذلك من ذكر بعض الايات التي وردت فيها كلمة عباد الخاصة بالموحدين كاملة لا سبيل الحصر بقوله تعالى :

ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁽³⁾ .

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ⁽⁴⁾ .

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ⁽⁵⁾ .

كَذَٰلِكَ لِنُضْرِبَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ⁽⁶⁾

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ⁽⁷⁾ .

(1) الراغب الاصفهاني : المصدر السارق ، ص 543 .

(2) ورد في أدعية الصالحين عبارة: يا من يعطي من سألته ومن لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة "

(3) سورة الانعام / الاية 88 .

(4) سورة الاعراف / الاية 32 .

(5) سورة الاعراف / الاية 128 .

(6) سورة يوسف / الاية 24 .

(7) سورة ابراهيم / الاية 31 .

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا⁽¹⁾ .

هذه جملة من الايات التي اشارت الى كلمة عباد وجاءت مرتبطة مع المؤمنين والانبياء والملائكة والذين تنالهم رحمة الله تعالى والذين يشرهم بالمغفرة وأعد لهم جنات ومن النعيم ما هو الله اعلم به . واسترسالاً بتأكيد كلمة (عباداً لنا) كنها تشير الى العابدين لله تعالى نستنطق نهاية الاية الكرية في قوله الكريم : " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا " ⁽²⁾ .

فمن الامور المتفق عليها عند المفسرين ان الذين يدخلون المسجد (الاقصى) بعد فساد اليهود الثاني هم المسلمون (يغض النظر عن الطائفة) الموحدون لله تعالى، وهي اشارة الى التشابه في الاعتقاد والعبادة مع الاقوام الذين (دخلوه اول مرة) وهو التوحيد والايمان به عز وجل .

وبالعودة الى آية البحث نجد ان الكلمة يتضح معناها بعد الصاق (لنا) لكلمة عباد وهي تشير بوضوح الى تحديد صلة العبودية وانتسابها الى الله عز وجل؛ وعليه يكون المرسل الى بني اسرائيل هو من عباد الله تعالى الموحدين، وهو ينطبق كما اسلفنا باجماع اغلب المفسرين على نبوخذ نصر الذي جاس خلال الديار في فترة السبي البابلي وبالاخص السبي البابلي الثاني (586 ق.م) ودخوله مدينة اورشليم عاصمة مملكة يهوذا واحراقه الهيكل والمعبد الذي أخذ يمارس به طقوس لا تمت الى التوحيد بصلة، وتنكيله برجال الدين الذين ضللوا

(1) سورة الانسان / الاية 6 .

(2) سورة الاسراء / الاية 7

بني اسرائيل، وبالمقابل تكريمه للانبياء الصادقين من القوم وفي مقدمتهم النبي إرميا⁽¹⁾.

اذن يمكن ان تتضح طبيعة العبادة والتبعية الدينية لبوخذ نصر (وحتى اتباعه) بانها كانت بارتباط مع الله سبحانه وتعالى وانه كان يدين بديانة التوحيد ؛ لكن هذا التوحيد وصل الينا شائبا في النصوص المسمارية وملوث باقلام الكهنة الذين احتكروا مهنة الكتابة واعادة التدوين التاريخي واعمال الملوك وكل الاحداث التاريخية تقريبا بدءاً من حادثة الطوفان .

النصوص الاثرية والتوراتية المتوافقة مع الاية الكريمة

هناك عدد من النصوص الاثرية والتوراتية التي تتفق مع مصاديق الآية الكريمة في سورة الاسراء فيما يخص توحيد وعبودية الملك نبوخذ نصر وعبادته لله العلي القدير وهي واضحة جداً في اسفار الانبياء أرميا ودانيال وحزقيال ، وكل من هؤلاء الانبياء كانوا معاصرين للملك نبوخذ نصر، وان اسفارهم ذكرت ضمناً الحوادث التاريخية قبل واثناء وبعد السبي البابلي الكبير لمملكة يهوذا (586 ق.م) . ولا يريد الباحث الدخول الى تفاصيل السبي البابلي لليهود ، الا انه لا ضير من اعطاء نظرة سريعة لحركة سير التاريخ آنذاك من خلال النصوص المسمارية.

بعد ان استقرت امور الدولة البابلية الكلدية للملك نبوخذ نصر (604 - 562 ق.م) اخذ بتوطيد سلطته على مناطق سوريا القديمة والممالك المتفرقة في فلسطين⁽²⁾ . اما مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم فقد ظل ولائها متأرجحاً بين

(1) للتفصيل حول السبي البابلي لليهود والظروف المحيطة به ينظر : دراسات في الشرق الادنى القديم : محمد بيومي مهران .: دار المعرف الجامعية (الاسكندرية - 1999) ص ، 434 - ص 453 .

(2) حياة ابراهيم محمد : نبوخذ نصر الثاني . وزارة الثقافة والاعلام (بغداد - 1982) ص 62.

البابليين والمصريين في زمن الفرعون (نيخاو 610 - 595 ق.م.)⁽¹⁾ ، حتى قرر يهوياقيم حاكم يهوذا اعلان الثورة ضد السلطان البابلي والانضواء تحت لواء المصريين ؛ ولم يتدخل نبوخذ نصر في هذا التمرد الذي اعلن ضده عام 598 ق.م. لانه رأى ان هذا الامر طبعيا بسبب حداثة الإمبراطورية البابلية في مد نفوذها الى هذه المناطق⁽²⁾ ، لكنه سرعان ما غير رأيه وتوجه بجيشه الى مملكة يهوذا نظراً لمساندة المصريين لها ، وفي اثناء الطريق مات يهوياقيم وخلفه ابنه يهوياكين على عرش مملكة يهوذا . وما ان وصل نبوخذ نصر حتى اطبق الحصار على يهوذا ، ولم يقاوم يهوياكين الجيش البابلي وسلم نفسه واهله الى نبوخذ نصر الذي حملة وعدد من النبلاء ورجال الدين بما فيهم الانبياء ، وعين (صدقيا)⁽³⁾ على عرش يهوذا ، وهذا هو السبي البابلي الاول سنة 597 ق.م.⁽⁴⁾

لم يدم الولاء اليهودي للبابليين طويلا اذ سرعان ما ثارت مملكة يهوذا مرة اخرى انتهت بدخول البابليين الكلدان الى اورشليم وتدمير المدينة دمازا فضيعة احرقوا فيها النيران وهدموا المعبد والقصر وذبح الملك صدقيا ونقل من السكان الذين قاوموا الجيش البابلي مقيدين بالسلاسل الى بابل ، في حين عفي

⁽¹⁾ وهو احد فراعنة الاسرة السادسة والعشرين كانت له طموحات توسعية في مناطق سوريا القديمة انتهت بالقضاء عليه من قبل الملك نبوخذ نصر في معركة قرقميش 605 ق.م.
⁽²⁾ نبوخذ نصر الثاني (604 ق.م. - 562 ق.م.) : حياة ابراهيم محمد . المؤسسة العامة للتراث والاثار (بغداد - 1983) ص 67 وما بعدها .

⁽³⁾ صدقيا هو عم يهوياكين واخوه في نص توراتي اخر انظر الملوك 2 الايام 2 بيومي ص 40
⁽⁴⁾ تاريخ القدس القديم: خزعل الماجدي المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت - 2005) ص 215 .

عن الفئة التي تزعمها النبي ارميا والتي كانت ترى بضرورة الاستسلام الى الملك البابلي. وهذا هو السبي البابلي الثاني الذي حدث في سنة 587 ق.م. ⁽¹⁾

هذه الحوادث التاريخية كانت من وجهة نظر دينية انما هي تأديب لبني اسرائيل على فسادهم وعصيانهم وتركهم لعبادة الله سبحانه وتعالى وقتلهم الانبياء بغير حق والعكوف على عبادة الاوثان ، حيث نجد ذلك واضحا في سفر النبي ارميا ، الذي نقل رسالة الله سبحانه وتعالى الى بني اسرائيل :

" .. من اجل كل شرهم لانهم تركوني ، واحرقوا بخوراً لالهة أخرى، وعبدوا صنعة ايديهم .. قالوا لنصب الخشب انت ابي وللحجر المنحوت صنما، انت أنجبتي وولوا ادبارهم وليس وجوههم نحوي وفي وقت بليتهم استغاثوا بي قائلين، قم فانقذنا، فأين اذاً الالهة التي صنعتوها لأنفسكم؟ " ⁽²⁾

والنص في اعلاه يقابل المعنى القرآني الذي اشار الى فساد بني اسرائيل لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ. والفساد هنا لم يكن بالمعنى الاخلاقي وانما بالمعنى العبادي وهو ما مر تبينه

وفي الحقيقة ان النص التوراتي يُكثر من تعداد فضائح بني اسرائيل ومعاصيهم في سفر النبي ارميا ، لكن ما يهمنا هو ان الله سبحانه وتعالى قد توعدهم بالعذاب الذي سيكون على يد عباده المؤمنين به حقا وقد وردت الاشارة اليه صراحة بانه الملك البابلي نبوخذ نصر ، حيث جاء في وصفه بانه عبد لله سبحانه وتعالى في سفر ارميا وبصورة تفضيل له على بني اسرائيل الذين لم يعبدوا الله تعالى حق عبادته والنص التالي واضح في عرض مسألة عبودية نبوخذ نصر الذي استخدمه الله تعالى كأداة لتأديب بني اسرائيل حيث نقرا في سفر ارميا:

⁽¹⁾ محمد بيومي مهران: دراسات في الشرق الادنى القديم. دار المعارف الجامعية (الاسكندرية

- 1999) ص 443-444.

⁽²⁾ سفر ارميا 1/ 16 ، 18 .

" هكذا يقول الرب القدير : لانكم عصيتم كلامي فيها انا اجند جميع قبائل الشمال بقيادة نبوخذ ناصر عبدي وآتي بها الى هذه الارض فيجتاحونها ويهلكون جميع سكانها مع سائر الامم المحيطة بها واجعلهم مثار دهشة وصغير وخرائب أبدية .. وتستعبد جميع هذه الامم لملك بابل طوال سبعين سنة" (1) .

اذن فان هذا النص في سفر ارميا يوضح منزلة نبوخذ نصر العبادية لله تعالى . وقد وضح السفر نفسه مكانة الملك نبوخذ نصر عند الله سبحانه وتعالى وجعله وسيلة لتعذيب كل الامم التي لاتدين له وتفضيله على كل الشعوب بما فيها بني اسرائيل الذين اعتبروا انفسهم شعب الله المختار! ونقرأ في السفر ما نصه :

" هذا ما يعلنه الرب القدير اله إسرائيل : انا بقوتي العظيمة وبذراعي الممدودة صنعت الارض بما عليها من بشر وبهائم ووهبتها لمن طاب لي ان اهبها له ، والان قد عهدت بجميع هذه الاراضي الى نبوخذ نصر ملك بابل عبدي واعطيته حيوان الحقل ليكون في خدمته فتستعبد له ولابنه ولحفيدة جميع امم الارض " (2) .

ويمكن ان نلاحظ من هذا النص التوراتي نفسه تطابقا عجيباً في سير الاحداث التاريخية التي ذكرها القرآن الكريم فقوله تعالى في الاية الكريمة ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (3) وهو ما يماثل المعنى في سفر ارميا الوارد اعلاه " الى ان يحين موعد استعباد أرضه. أي انكم سترثون أرضه وتصبح لكم الكلمة العليا على البابليين بعد حين . وهذا ما تؤكد المصادر الاثرية التي تذكر بان الدولة البابلية الكلدية قد سقطت بعد خمسين عاما على يد الملك الفارسي كورش الثاني بمساعدة اليهود مقابل

(1) سفر ارميا 25 / 8 - 11

(2) سفر ارميا 27 / 5 - 11 .

(3) سورة الاسراء الاية 6

منحهم حرية الرجوع الى اورشليم واعادة بناء بيت المقدس وكيف آل الكثير من املاك البابليين الى الشعب اليهودي⁽¹⁾.

ويتضح من النص التوراتي ايضاً منزلة نبوخذ نصر عند الله سبحانه ويصفه بالعبد الذي طاب ذكره عند الرب، ووهبت له جميع الاراضي، وربما يقصد هنا ارضي فلسطين المقدسة عند بني اسرائيل او الارض التي لم يصونها بني اسرائيل بعد ان واعدهم الله تعالى بها. ولا يعقل ان يعطي الله العلي القدير هذه القدرات والمباركات الى ملك لا يدين له بالعبودية ويجعل من الانبياء مستشارين له، كما عمل دانيال وحزقيال وعزرا مستشارين لنبوخذ نصر ملك بابل الذي اكرمهم وقربهم اليه اكثر من اي شخص اخر.

وبالمعنى نفسه (اي عبودية نبوخذ نصر لله تعالى) نجد في مكان اخر وبالتحديد في سقر النبي حزقيال ان الله تبارك وتعالى يكافئ جيش نبوخذ نصر لخدمتهم ضد الملوك الوثنيين ويكمل ما بدأه من منح البركات على نبوخذ نصر وجيشه وهذا ما يرد نصه كالآتي :

" ان ملك بابل نبوخذ ناصر ... هو وجيشه قد عملوا في خدمتي." ⁽²⁾

وللقارئ ان يحكم على النص التوراتي المستوحى من النصوص المسمارية التي تحدثت عن اعمال نبوخذ نصر:

"من نبوخذ ناصر الى جميع الشعوب والامم والاقوام من كل لسان المقيمين في كل الارض ليكثر سلامكم قد طاب لي ان احدث بالايات والعجائب التي صنعها الله العلي فما اعظم اياته وما اقوى عجائبه انا نبوخذ نصر باركت العلي وسبحت الحي الابدي ذا السلطان السرمدي والذي ملكه على مدى الاجيال وعرفت ان كل اهل الارض لا يحسبون شيئاً وانه يفعل ما

(1) التآمر اليهودي على بلاد الرافدين حتى سقوط بابل 539 ق.م: حسن عبيد عيسى . بيت

الحكمة (بغداد -2002) ص 222.

(2) سفر حزقيال 29 / 18 - 21 .

يشاء في جند السماء وسكان الأرض وليس من يكف يده أو يقول له ماذا تفعل ؟ في ذلك الحين ثاب لي عقلي وعاد الي جلال مملكتي وازدادت عظمتي جدا فالان انا نبوخذناصر اسبح وأمجد واحمد ملك السماء الذي جميع أعماله حق وطرقه عادلة وقادر على إذلال كل من يسلك بالكبرياء . " (1) .

ولا احسب ان نجد اوضح من هذا النص الذي يتحدث عن توحيد نبوخذ نصر وعبادته لله العلي الحي الابدي السرمدى . إذ أعلن صراحة عباراته التوحيدية والممجدة لله تعالى (العلي الحي الابدي ذا السلطان السرمدى) وبعبارة اخرى ان النصوص التوراتية قد اعترفت صراحة ان الملك نبوخذ نصر هو عبد الله تعالى الذي ارسله الى اليهود في مملكة يهوذا وفاخرهم به وفرض عليهم طاعته كما جاء على لسان نبيهم (الصادق) أرميا ، وما الصق به من تهمة حاولت النيل من عبوديته واعربت عن كراهية بني اسرائيل لا سيما المسيبيين منهم لهذا الملك (2) . ومن باب الاضافة نستذكر النص القرآني الذي تكلم عن كراهية بني إسرائيل لمن يكون أداة للرب في عذابهم كما حصل منهم ان عادوا الملاك جبريل عليه كما في قوله تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (3) .

(1) سفر دانيال 4 / 27 - 29 ، 34 - 37 .

(2) لقد تولد عند اليهود حالة من الكراهية والتعصب ضد البابليين الكلدان لانهم قاموا بسبي بني اسرائيل وجعلوهم تحت سلطامهم السياسي والاجتماعي وهذا ما لا يتقبله (شعب الله المختار !!) لذلك أخذوا ينسبون التهم والافتراءات على نبوخذ نصر وعلى البابليين حتى انهم في احد كتاباتهم التلمودية يصفون بابل ب (المدينة العاهرة) . للتفصيل ينظر اليهود وعقدة بابل : سهيل قاشا . دار الرافدين (بيروت 2008) .

(3) سورة البقرة / الآية 97 .

المطلب الثاني: آلهة قوم نوح عليه السلام⁽¹⁾

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا (21)
وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا
يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23)

يكاد لا يختلف اهل التفسير حول معنى هذه الاسماء ومصدرها الذي اشتقت منه للعبادة . واغلب هذه التفاسير للاسف لم تستند الى دراسة اللغات القديمة او مكتشفات علم الاثار الذي يساعد على توضيح المعنى الحقيقي للآية من خلال معاصرة النص الاثاري للحدث التاريخي ؛ وهذا الامر ليس بمعيب على ارباب التفاسير لان علم اللغات القديمة ومكتشفات علم الاثار من العلوم الحديثة التي تبلورت بصورة عملية في بدايات القرن العشرين ، وهو بذلك بعيد عن متناول العلماء من المسلمين الذين اسسوا لعلم التفسير .

وقبل الحديث عن معاني هذه الاسماء ومدى ملائمة علم الاثار لها نورد هنا قولاً شاملاً لاغلب علماء التفسير ومن كل اصناف المدارس التفسيرية⁽²⁾

(1) فكرة هذا المبحث تتشارك مع بحث للدكتور منذر المنذري رئيس قسم الاثار جامعة بغداد وهو يتناول هذه الاسماء بطريقة آثارية تفصيلية والبحث قيد الانجاز .
(2) ينظر مثلاً لا على سبيل الحصر : جامع البيان في تفسير القرآن . الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . دار المعرفة (بيروت 1412 هـ) مج 29 ، ص 62 . الكشف والبيان عن تفسير القرآن ؛ الثعلبي النيسابوري : ابو اسحق ، دار احياء التراث العربي (بيروت 1422 هـ) ج 1 ص 45 . تفسير القرآن العظيم ؛ ابن ابي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد ؛ تحقيق اسعد محمد الطيب ، الطبعة 3 ، مكتبة نزار الباز (السعودية - 1419 هـ) مج 10 ، ص 3325 . تفسير القرآن العظيم : ابن كثير الدمشقي ، اسماعيل بن عمرو ، دار الكتب العلمية (بيروت 1491 هـ) ج 8 ص 248 . الدر المنثور في تفسير المأثور : السيوطي ، جلال الدين . مكتبة اية الله المرعشي (قم - 1404) ج 6 ص 269 . الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، محمد حسين . الطبعة الخامسة مؤسسة النشر الاسلامي (قم 1417) ج 20 ص 34 . على ان عدم ذكر باقي التفاسير لا يعني

1- إنها أسماء خمسة من الصالحين كانوا قبل نوح عليه السلام وعند ما رحلوا من الدنيا اتخذوا لهم تماثيل لتبقى ذكرى، وذلك بتحريك وإيحاء من إبليس، فوقروها حتى عبدت تدريجيا بمرّ العصور.

2- أنها أسماء خمسة أولاد لآدم عليه السلام كان كلما يموت أحدهم يضعون له تماثلاً وذلك لتخليد ذكراه، وبمرور الزمن نسي ذلك الغرض وأخذوا يروجون عبادتها بكثرة في زمن نوح عليه السلام.

3- البعض الآخر يعتقد أنها أصنام في زمن نوح عليه السلام، وذلك لأنّ نوحا عليه السلام كان يمنع الناس من الطواف حول قبر آدم عليه السلام فاتخذوا مكانه تماثيل بإيعاز من إبليس وشغلوا بعبادتها وهكذا انتقلت هذه الأصنام الخمسة إلى الجاهلية العربية، وانتخب كل قبيلة واحدة من هذه الأصنام لها، ومن المستبعد أن تكون الأصنام قد انتقلت إليهم، بل إنّ الظاهر هو انتقال الأسماء إليهم ثم صنعهم التماثيل لها، ولكن بعض المفسرين نقلوا عن ابن عباس أنّ هذه الأصنام الخمسة قد دفنت في طوفان نوح عليه السلام، ثم أخرجها الشيطان في عهد الجاهلية ودعا الناس إلى عبادتها

و في كيفية تقسيم هذه الأصنام على القبائل العربية في الجاهلية، قال البعض: إنّ الصنم (ود) قد اتخذته قبيلة بني كلب في أراضي دومة الجندل، وهي مدينة قريبة من تبوك تدعي اليوم بالجوف، واتخذت قبيلة هذيل (سواعا) وكانت في بقاع رهاط، واتخذت قبيلة بني قطيف أو قبيلة بني مذحج (يغوث)، وأمّا همدان فاتخذت (يعوق)، واتخذت قبيلة ذي الكلاع (نسرا)، وهي قبائل حمير و على كل حال، فإنّ ثلاثة منها أي (يغوث ويعوق ونسر) كانت في اليمن ولكنها اندثرت عند ما سيطر ذو نؤاس على اليمن، واعتنق أهلها اليهودية

بالضرورة انها لا تتفق مع المعنى وانما قصدنا الايجاز في الهامش . ومن اراد التأكيد فعليه بالاستزادة .

و بالطبع أنّ هناك أصنام أخرى كانت لعرب الجاهلية، منها «هبل» الذي كان من أكبر أصنامها التي وضعوها داخل الكعبة، وكان طوله 18 ذراعاً، والصنم (أساف) المقابل للحجر الأسود، والصنم (نائلة) الذي كان مقابل الركن اليماني (الزاوية الجنوبية للكعبة) وكذلك كانت (اللات) و(العزى) ⁽¹⁾.

النهج الاثاري واللغوي القديم للتدبر في هذه الآية

ان هذه الاسماء الواردة في سورة نوح تشير الى ابرز المعبودات السائدة في المجتمع الذي عاصره النبي نوح . وهم السومريون الذين سكنوا مناطق جنوب العراق في حوالي الالف الرابع قبل الميلاد ⁽²⁾ حيث ان النبي نوح قد اعلن دعوته الى التوحيد ونبذ عبادة اشكال الاصنام المختلفة التي جسمت مظاهر الطبيعة آنذاك في المنطقة التي سادت فيها الحضارة السومرية ، وهي اولى الحضارات البشرية في التاريخ بدليل ان النبي نوح هو أول الانبياء الذين ارسلوا الى جماعة من الناس وانه (نوح عليه السلام) ابو التوحيد ؛ لذا فان القوم الذين ارسل اليهم نوح هم اول الاقوام ؛ ولو سبقتهم اقوام اخرى في الارض لكان الله تعالى قد اخبرنا بدعوة نبينهم سيما وانها اول الدعوات التوحيدية للبشر ⁽³⁾.

ومما يستدل به على ان النبي نوح كان رجلاً سومرياً وعاش ضمن المجتمع العراقي القديم لا سيما في المناطق الوسطى والجنوبية منه ، هو النصوص المسمارية التي ذكرت قصة الطوفان وبطلها المسمى باللغة السومرية

(1) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي . مؤسسة الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه (قم 1421) ، ج 19 ص 64 .

(2) السومريون: صموئيل نوح كريم، ترجمة فيصل الوائلي دار غريب (الكويت 1973)، ص22.

(3) دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق: محمد بيومي مهران. ط2 دار النهضة (بيروت 1988) ص 9.

(زيوسودرا)⁽¹⁾ حيث يذكر النص المسماري السومري ان هذا الرجل المتناهي بالحكمة الذي ابنتى له سفينة وادخل فيها من كل زوجين اثنين قد عاش في مدينة كانت تدعى بالسومرية (شروباك) على نهر الفرات والتي تقع اطلالها اليوم في منطقة (تل فارة) وهي من مناطق محافظة القادسية في العراق .

الديانة السومرية في العراق القديم تركزت بصورة مباشرة وأساسية على تأليه مظاهر الطبيعة وما كان يدور حول الانسان في محيط بيئه الطبيعية فعمل الانسان انذاك على تجسيد القوى المهيمنة والمؤثرة والمحركة في الطبيعة بهيئة آلهة تصورها قياساً على الجنس البشري (ذكر واثى)⁽²⁾ ، حيث انتخب القوم اهم الظواهر الطبيعية التي كانت لها اثر قوي في حياتهم وجسدوها بعدئذ وشخصوها على هيئة الهة فعبدوها واقتربوا إليها ابتغاءاً لرضاها واتقاءاً لشرها⁽³⁾ . فكان هذا الامر اول ظهور للاصنام التي اتخذت شكلاً بشرياً . وقد تعددت هذه الاصنام وانتشرت عبادتها في ارجاء مختلفة في مجتمع قوم نوح . الا ان هناك بعض من هذه المعبودات قد طغت عبادتها بصورة كبيرة وعدت من الالهة الخلاقة في مجمع الالهة السومري (Pantheon) ، ولم تقتصر هذه المعبودات بعبادتها على مدينة او فئة معينة من الناس شملت ارجاء البلاد كلها حتى انه انتشرت الى المناطق المجاورة للعراق القديم ، وقد دخلت هذه المعبودات في معظم تعاملات القوم وطقوسهم العبادية والحياتية.

وأبرز هذه المعبودات هي (إنليل = اله الهواء) (أيا = اله الارض والمياه) (اينانا = عشتار = الهة الحب) (ن نار = اله القمر) (أوتو = اله الشمس)

(1) ورد اسم بطل الطوفان حسب الرواية السومرية باسم (زيوسودرا = ذو الحياة الطويلة) وبالصيغة البابلية (اتراخاسيس = المتناهي في الحكمة) اما الصيغة الاشورية في اللوح الحادي عشر من ملحمة كلكامش فهي (اوتو نابشتم = الذي أدرك الحياة) طه باقر : ملحمة كلكامش . ط 4 ، (بغداد - 1980) ، ص 129 ، ص 203 ، ص 214 .

(2) جان بوتيرو وآخرون : الشرق الأدنى ، ص 334 .

(3) نائل حنون : شخصية الاله الام ، مجلة سومر ، العدد 34 ، 1987 ، ص 22 .

وغيرها من المعبودات الخلاقة التي عرفت بالميثولوجيا السومرية القديمة بـ (الانوناكي) أي الالهة الكبار⁽¹⁾.

ما يهمنا من اسماء هذه المعبودات انها ذكرت بالاية الكريمة على شكل ترجمة حرفية لوظيفة كل معبود في الديانة القديمة السائدة انذاك (السومرية) ؛ اذ ان لكل ممن هذه المعبودات صفة ووظيفة خاصة عرف بها في المجتمع الديني السومري (قوم نوح) وهذه النعوت والافصاف انتقلت مع هذه المعبودات الى اقوام الجزيرة العربية ولكن باسماء مختلفة او قريبة منها ، الان انها عبت على نفس الوظيفة التي نشأت عليها عن قوم نوح . فمثلا لا على سبيل الحصر ان المعبودة (اينانا) السومرية التي اختصت بكونها الهة الحب والزواج والمودة والشهوة وكل ما تصل بالود ، انتقلت الى البابليين بالصفات نفسها ولكن باسمى اخر وهو (عشتار) ثم انتقلت الى الكنعانيين شمال الجزيرة العربية وبالصفات نفسها (الحب والمودة والزواج) ولكن بمسمى عشتروت او عشتروت ومنها الى اليونان بلفظ (فينوس) والرومان بمسمى (افروديت) وفي اليمن تسمى (عشر)⁽²⁾.

ولكن ما علاقة هذه المسميات السومرية لهذه المعبودات مع اسماء الالهة الوارد ذكرها في الاية الكريمة في سورة نوح (ود ويعوق وسواع ويغوث ونسرا) ؟

القاعدة التي استند اليها الباحث في ارجاع هذه المسميات في القران الكريم الى اصلها السومري تعتمد على صفات الالهة وادوارها الوظيفية في العبادة الوثنية انذاك ؛ أي ان القران الكريم قد استخدم الرمزية في الخطاب التي اعتمدت على رموز اهم الالهة في قوم نوح وما يقابلها من معبودات عند العرب

(1) الفكر الديني القديم: تقي الدباغ، دار الشؤون الثقافية (بغداد - 1992) ص 16 وما بعدها.

(2) للتفصيل ينظر: لغز عشتار: فراس السواح . دار علاء الدين ، ط 8 ، (دمشق 2002).

قبل الاسلام مع الاخذ بعين الاعتبار التماثل الوظيفي لتلك الالهة في المجتمعين ، ولم يكن الخطاب يعتمد على التطابق أو التقارب اللفظي بين ما يرد في النصوص المسمارية والنص القرآني الكريم وذلك لعدم معرفة اهل قريش او الجاهلية بصورة عامة بلغة السومريين التي لاتمت اليهم بصلة او باشتراك لغوي كما هو الحال بالنسبة لعائلة اللغات السامية او الجزيرية .

وفيما يلي استعراض لهذه المعبودات في الديانة السومرية الوثنية في زمن النبي نوح وكل حسب وظيفتها الاعتقادية (النظرية) حسب تصور القوم آنذاك لها ؛ وتبيان مدى ملائمتها مع ما ورد من لفظ لها في القرآن الكريم :

1- أيا = يغوث

اتصف المعبود أيا ويلفظ بالبابلية (أنكي)⁽¹⁾ بكونه اله الارض والمياه العميقة (البحار) وقد اضاف عليه القوم صفة الحكمة فاعتبر الاله المشافي والمعافي من الامراض والمنجي من الهلكات وهو ايضاً اله الحكمة والذكاء⁽²⁾ ، وقد اعتقد قوم نوح بان هذا المعبود قد اسس للبشرية معالم الحضارة وملء لهم الانهار بالاسماك وعلم البشر مهنة الزراعة التي هي مصدر قوت المجتمع آنذاك⁽³⁾ .

هذا الصفات التي اجتمعت في هذا المعبود جعلت البشر العابدين له في ذلك الوقت ينظرون اليه بانه دائماً ما يساعد و(يغيث) الناس ويقف الى جانبهم في حالات غضب الالهة الاخرى عليهم . إذ اشارت ملحمة الطوفان المسمارية الى هذا المعنى ، اذا ان الاله (انليل = يعوق) كما سيمر بنا لاحقاً ، قرر ان يبيد

(1) السومريون : صموئيل نوح كريم . ترجمة فيصل الوائلي . (الكويت - 1973) ص 169 .

(2) : المعتقدات الدينية: موسوعة حضارة العراق . فوزي رشيد (بغداد - 1985) ، ج1 ، ص 155 .

(3) سومر اسطورة وملحمة: فاضل عبد الواحد علي . دار الشؤون الثقافية ، (بغداد 2000) ص 93 .

الالبشر باغراقهم لانهم اخذوا يزعجون الالهة بضجيجهم وبعد ان اتفقت معه باقي الالهة ينبري الاله أيا ليغيث البشر وينجدهم عن طريق اخبار الرجل الحكيم (زيوسدرا = نوح) بقرار الالهة ويشير عليه بان يصنع له سفينة ويضع فيها من اهله وما كان عنده من حيوان الحق وحيوان البر وحسب ما ذكر في نص ملحمة الطوفان المسمارية ⁽¹⁾ .

إذن فمن الممكن ان تكون صفة الاغاثة والاعانة التي اضافها قوم نوح على هذا المعبود استخدمت في الخطاب القرآني لتقريب المعنى المنشود للعرب وقريش بصورة خاصة ؛ بعبارة أخرى ان لفظة الاله (أيا) كانت مبهمة على مسامع العرب قديما لانها كلمة تنتمي الى لغة مندثرة في ذلك الوقت ولم يكن احد يتداولها او له معرفة بها ، اذ ان اللغة السومرية لغة لاتنتهي الى اي من العوائل اللغوية القديمة او الحديثة ⁽²⁾ ، لذا فان الخطاب القرآني قد استخدم صفة المعبود التي عبد على اساسها واوردها ضمن السياق القرآني المفهوم للعرب بصورة عامة .

2- ود = أينانا

وغلى المنوال نفسه الذي سبق ، اي ان صفة المعبود ووظيفته حسب تصور القوم آنذاك ، هي التي ذكرت في السياق القرآني للاية الكريمة وليس اسمائها الحقيقية التي عبدت بها في وقتها ، نلاحظ ان المعبود ود هو من الالهة التي اشتهرت بكونه اله الحب والمودة والزواج وما ارتبط بها من مفاهيم مقاربة

⁽¹⁾ المصدر نفسه . ص 224 .

⁽²⁾ تعد اللغة السومرية اول لغة مدونة في العراق القديم ويرجع تدوينها الى الالف الثالث قبل الميلاد على انها كانت مستخدمة قبل هذه الفترة . وهي لغة تميزت بظاهر اللصاق اي ان كل فكرة اساسية فعلية او اسمية يعبر عنها بمقطع صوتي واحد او اكثر وغير قابل للصرف . وقد اندثرت هذه اللغة في حدود 1000 ق.م. ينظر المعجم المسماري : نائل حنون . بيت الحكمة (بغداد - 2001) ج 1 ، ص 85 ، ص 90 .

(1) ، وهذه الصفات قريبة من حيث المعنى والصفة من لفظة (ود) وحسب ما يرد في قواميس اللغة العربية بأنها تشير الى المودة والمحبة (2).
من جانب آخر فان هذه الصفات لهذا المعبود قد انتشرت عبادتها عند القبائل والاقوام العربية قبل الاسلام ، وقد اضيفت اليها صفة الحرب والقتال ؛ اي ان عبادة هذا المعبود جمعت بين صفتي الحب والحرب في آن واحد . وهذا ينطبق تماماً مع ما موجود في المصادر المسمارية السومرية التي وصفت المعبودة أينانا (عشتار البابلية) بأنها الهة الحب والزواج في النهار والهة الحرب والقتال في الليل (3).

3- يعوق = إنليل

يعد المعبود انليل في الميولوجيا السومرية من اهم المعبودات واقدمها (4)، ويتكون اسمه في الكتابة المسمارية من مقطعين (إن = سيد) (ليل = هواء) سيد الهواء او اله الهواء ، وقد اضيفت عليه صفات وافعال كثيرة ارتبطت بحياة القوم آنذاك ومن ملاحظة ارتباط اسمه بالهواء وما ينشأ من الهواء من عواصف واعاصير تلحق الضرر بالزراعة وهي العمود الاساس للحياة الاقتصادية آنذاك (5).

(1) الفكر الديني القديم : تقي الدباغ . ص 22.

(2) القاموس المحيط : الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب . تقديم محمد المرعشلي ط2 دار احياء التراث (بيروت 2003) مادة ود . ص 307 . مفردات الفاظ القرآن : الراغب الاصفهاني . تحقيق صفوان داوودي . ط2 (قم 1437) ص 860 - 861 .

(3) الفكر الديني القديم : تقي الدباغ . ص 22.

(4) حضارة العراق : فوزي رشيد ، ص 152 . سامي سعيد الاحمد : المعتقدات الدينية في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية (بغداد - 1981) ص 22.

(5) البنية الاجتماعية في العراق القديم : عادل هاشم علي . أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد كلية الاداب 2006 . ص 44.

وصفت المصادر المسمارية هذا المعبود بمواقفه السلبية الضارة للبشر ،
فإليه يعزى اباداة البشرية في قصة الطوفان المسمارية ، اذ اعتبر انه هو الذي قرر
ابادة البشرية باغراقهم في الطوفان ⁽¹⁾ ، من جهة اخرى فان المصادر المسمارية
تشير الى ان هذا المعبود كثيرا ما كان يعيق الملك كلكامش في رحلته الشهيرة
للبحث عن الخلود ⁽²⁾ .

اذن من الممكن ايضا ان يكون اشتقاق اسم هذا المعبود (انليل) من
صفاته التي اعاقت حياة القوم انذاك وانهم عبدوه خشية منه وتقرباً اليه لينالوا
رضاه ويأمنوا أذيته ، ومن جهته فان القران الكريم اورد لفظة (يعوق) كصفة
لهذا المعبود ، وليكون قريبا من الذهنية العربية قبل الاسلام لان لفظة (انليل)
لم ترد في لغتهم او في اللغات القريبة منهم كما اوضحنا سلفاً .
4- نسرا = آشور

ربما يكون اسم هذا المعبود من اوضح اسماء المعبودات التي ذكرتها
الاية الكريمة ، وهذا راجع الى الشكل الذي صور به الناس به وهو صورة النسر ،
حتى ان العرب عبدته على شكل النسر ايضا ⁽³⁾ .
ويقابل هذا المعبود في الالهة قوم نوح الاله (آشور) وهو من الالهة
الموغلة في القدم وربما يرجع زمن عبادته الى فترة العبادات الطوطمية ⁽⁴⁾ . وقد
انتشرت عبادة الاله نسرا من موطن النبي نوح الى سوريا القديمة وبوادي
الجزيرة العربية ، حيث عثر في حفريات مدينة أيبلا ⁽⁵⁾ في نصوصها المسمارية

⁽¹⁾ ثم جاء الطوفان :فاضل عبد الواحد علي . مجلة سومر . المجلد 31 ، بغداد - 1975 . ج
1 ، ص 18 .

⁽²⁾ ملحمة كلكامش : طه باقر ، ص 53 .

⁽³⁾ ينظر شكل هذا المعبود في الملحق الخاص بالصور .

⁽⁴⁾ حضارة العراق : فوزي رشيد ، ص 163 .

⁽⁵⁾ تعد مملكة إيبلا اقدم مملكة ظهرت فيتاريخ سوريا القديم وتقع اطلالها في تل ماردوخ في
مدينة إدلب كشف فيها العديد من اللوحات المسمارية المختلفة وهي تعتبر المصدر الوحيد عن

في حدود 2500 ق.م. عثر على شكل هذا المعبود واسمه باللغة الاكديّة (آشور)⁽¹⁾ والذي جعلناه يقابل نسراً الوارد في الآية الكريمة .

5- سواع

لم يصل الباحث بعد الى معنى هذا الاسم في الموروث الديني السومري وربما هذا الامر يرجع الى عدم انتشار عبادته في ارجاء كبيرة من الجزيرة العربية وعدم اتضاح معالمه وصفاته التي اتصف بها . اذ ان عبادته اقتصرت على قبيلة هذيل ولم يظهر في النصوص العربية القديمة احدا تسمى به كأن يقال عبد سواع او أمة سواع ، مثل عبد ود وعبد اللات وغيرها كثير⁽²⁾

من جانب اخر فان الاستاذ منذر المنذري يعتقد بان المعبود سواع الوارد في القرآن الكريم مقابلاً للمعبود البابلي (مردوخ) من خلال التصريف اللغوي لاحد القاب مردوخ التي اطلقت عليه و(سيراغ) والذي يستفيض بالشرح عنه في بحثه القيم عن الموضوع . على اننا لانتفق مع هذا الرأي الاخير لان مردوخ من الالهة التي لم تعبد في زمن نوح وانما في فترة العهد البابلي القديم أي بعد نوح بثلاثة الاف سنة تقريباً⁽³⁾ .

من خلال ما تقدم ذكره فان الخطاب القرآني قد استخدم صفة المعبود وما اضفاه القوم عليه من صفات حين عبادتهم له ، خصوصاً وان الآية الكريمة جاءت على لسان قوم نوح أنفسهم : "وقالوا لاتذرن " بمعنى ان القرآن الكريم قد

شمالي سوريا في النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد . تاريخ سوريا القديم : عيد مرعي وزارة الثقافة (دمشق 2010) ص 35 .

(1) حضارة العراق : فوزي رشيد ، ص 164 .

(2) كتاب الاصنام: ابن السائب الكلبي : هشام بن محمد ، تحقيق احمد زكي باشا ، ط 3 (القاهرة - 1995) ، ص 9 - ص 10 .

(3) المعبود مردوخ من الالهة التي برز شأنها مع علو مكانة مدينة بابل خصوصاً في العهد البابلي القديم وتحديدًا في زمن حمورابي 1692 - 1750 ق.م. أي انه من الالهة التي يعد ظهورها متأخراً بالنسبة الى بقية الالهة .

الصفات المؤلهة التي تقترب من الذهنية العربية قبل الاسلام ، وهذا الامر كان وارداً عند قريش والجاهلية عموماً عندما ألّهُوا معبوداتهم واصنامهم وفقاً لما اتصفت به بعض هذه المعبودات في نظرهم وجاءت تسمياتها من صفاتها مثل اللات الذي اشتق من لاته يليته اذا صرف عنه الشيء او الشر⁽¹⁾.

كلمة أخيرة:

البحث محاولة على الطريق لتأسيس منهجية اسلامية قرآنية لفهم التاريخ القديم ومتوافقة مع النصوص والنقوش الاثرية المكتشفة والتي يتم اكتشافها من حين الى اخر.

و قد تتضح الصورة للقارئ عن فكرة البحث ولكني -- من جانبي -- لا الزمه الاخذ بها، لاني ان كنت مخطئاً فاني لا اريد ان احمل ذنبا الى ذنبي ، وان كنت مصيباً فمن الله الواحد الأحد التوفيق والسداد. لذا اترك الرأي للقارئ واكتفي بصدق نيتي في اظهار ملامح التوحيد في التاريخ القديم والتدبر القرآني في فهم تاريخ الشعوب القديمة.

(1) لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. دار صادر (بيروت - 2003) مادة ليت.